مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
30/07/2024
المجلد الثاني

الصور الفنية المتناظرة في القرآن الكريم

Symmetrical artistic images in the Holy Quran

الباحثة/ سمية طه علي عبد الله الجعفري

(طالبة دكتوراه، كلية اللغات، جامعة صنعاء).

Researcher / Sumaya Taha Ali Abdullah Al-Jaafari(*)

PhD student, Faculty of Languages, Sana'a University

*) PhD student, Faculty of Languages, Sana'a University.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص:

إن البحث في تناظر الصورة الفنية في القرآن الكريم يبرز وجهًا من وجوه البلاغة القرآنية، ويفتح المجال متسعًا لإبراز الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وهدف هذا البحث إلى الكشف عن الصور المتناظرة للتشبيهات والاستعارات والكنايات في القرآن الكريم، وبيان الإعجاز الأسلوبي والبلاغي الذي تمتاز به، والتماسك والترابط في تلك الصور الفنية. والكشف عن جوانب الدقة والجمال في مواضع التناظر بما يمكن اعتباره دليلًا آخر يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم. وإبراز أسلوبية الآيات المتناظرة من حيث الخصائص التركيبية، والدلالية، وبيان الصور الفنية، مع تحليل كل خاصية من هذه الخصائص بما يتوافق ومنهجية البحث.

وجاء هذا البحث في ثلاثة مباحث: الأول في التشبيه، والثاني في الاستعارة، والثالث في الكناية. وخلص البحث إلى عدة نتائج، أبرزها:

- تمثلت أهمية الصور المتناظرة في طريقة تصويرها للمعنى، والتي فرضت نوعًا من الانتباه لما تعرضه، وزادت من التفاعل مع ذلك المعنى لدى المتلقي، مما خلق نوعًا من الوعي اللامحدود للمفاهيم المصورة لديه.

الكلمات المفتاحية: التناظر، التشبيه، الاستعارة، الكناية.

Summary:

The research in the symmetry of the artistic image in the Holy Qur'an highlights the face of Qur'anic rhetoric, and opens the way for ample to highlight the rhetorical miracles in the Holy Qur'an, and the aim of this research is to reveal the symmetrical images of similes, metaphors and metonymy in the Holy Qur'an, And the statement of the stylistic and rhetorical miracles that characterize it, and the coherence and coherence in those artistic images. Revealing the subtleties and beauty of the symmetry in what can be considered another evidence reveals one of the rhetorical miracles in the Holy Qur'an. And highlight the stylistics of the corresponding verses in terms of compositional and semantic

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

characteristics, and the statement of artistic images, with the analysis of each of these characteristics in accordance with the research methodology.

This research came in three sections: the first in analogy, the second in metaphor, and the third in metonymy. The research concluded several results, most notably:

-The importance of symmetrical images was represented in the way they portray the meaning, which imposed a kind of attention to what they display, and increased interaction with that meaning in the recipient, which created a kind of unlimited awareness of the concepts depicted by him.

Keywords: symmetry, analogy, metaphor, metonymy.

تمهيد:

يقوم الأسلوب القرآني على التصوير، فهو يعمل على مخاطبة الخيال والوجدان مثلما يخاطب العقل والرؤية، وله تأثير خاص في أسلوبه الذي يصور المعاني للمتلقي، ويمثلها في مخيلته، عن طريق الصورة الحسية، أو المشاهد العينية، التي تجعل من الخيال مشاهد كما لو أنها أشياء واقعة مشاهدة.

وتمثلت أهمية الصورة الفنية في الطريقة التي فرضت بها علينا نوعًا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به. فهي لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه.[1]

[1]) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط3، 1992م. ص327.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المبحث الأول: التشبيه

اهتم القدماء بدراسة الفن البياني وخاصة التشبيه؛ لأنه شيء مطبوع عند كل البشر، يُلجأ إليه لإبراز المعنى وتقريبه وتوكيده في نفس المتلقي، وهو قديم في الأداء الأدبي وفي تقدير الأدباء والنقاد العرب، حتى عُدت البراعة في صياغته دليلًا على التميز والبراعة في النظم.

وجاء معنى التشبيه لغة: "(شبه) الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع: أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله، وفي المثل: مَنْ أَشْبَه أَباه فما ظَلَم"[2]. فالتشبيه في معناه اللغوي يفيد التمثيل والتقارب والاشتراك بين شيئين في صفة واحدة فأكثر، وهذا يوضح أن التشبيه والتمثيل مرادفتان لبعضهما، وكل واحدة تعني الأخرى مطلقًا. وهذا ما أكده أبو البقاء بأن: "التشبيه[3] في اللغة: التمثيل مطلقا".

ويأتي معنى التشبيه اصطلاحًا في عُرف علماء البيان بأنه: "الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء الواحد في نفسه"[4]. وهو أيضًا: "علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال. وهذه العلاقة تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"[5].

---

[2]) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، د.ت.ج13، ص503.

[3]) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، د.ط، 1998م. ص270.

[4]) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، د.ط، 1998م. ص 270.

[5]) الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط3، 1992م، ص172.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتمتاز التشبيهات القرآنية بالدقة والتحديد، فهو يصف، ويقيّد على الفكرة؛ لتوضيحها حتى تصبح دقيقة واضحة مؤثرة. ولا تتفاوت هذه التشبيهات وإن تنوعت صورها، واختلفت أسرارها، فكل صورة، وكل كلمة جاءت بليغة في موضعها.

وتعد تشبيهات القرآن الكريم من أجمل تشبيهات البيان العربي؛ لتميزها عن غيرها في الأسلوب والنظم، حيث يأتي بالمشهد مختصرًا سريعًا شاخصًا بارزًا مكتمل السمات، ويرسمه بألفاظ دقيقة مصورة ومجسدة وموحية. فهو يصف الصورة حتى تتضح معالمها، وتزداد قوة والتحامًا والتصاقًا بما هو مراد معنى ودلالة.

وجاءت في القرآن الكريم الكثير من التشبيهات المتناظرة، والتي كان لها دور في إبراز المعنى وتوضيحه، وإضفاء صورة متكاملة الأركان يحفها الجمال والكمال من كافة نواحيها. وقد تكررت الصور المتناظرة في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، "إلا أنها لم تظهر بالتشكل ذاته، وإنما اتخذت تلونات جديدة، وأنتجت دلالات إضافية ومختلفة عن نظيراتها في السياقات الأخرى، مما يبرز جانبًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم في هذا النوع من الترددات الأسلوبية في سياقاتها المختلفة، ومعرفة مناسبة كل سياق للتغيير الحاصل في الصورة التشبيهية[6]".

ومن تلك الصور ما جاء في وصف قوم عاد وهلاكهم، وذلك في سورتي القمر والحاقة، قال تعالى:

1. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ{18} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ{19} تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ{20}﴾. القمر
2. ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ{6} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ{7}﴾. الحاقة

بين سبحانه وتعالى في الآيات السابقة صفة عذاب قوم عاد، وجاء الوصف في الآية الأولى بالعذاب، وفي الثانية بالهلاك، والهلاك وصف لميتة السوء، ولا يكون الهلاك إلا بعد ظهور الحجة، وهو ما أصابهم. وكان عذابهم بـ(الريح) كما ورد في الآيتين؛ وهو تعبير للقوة المدمرة للهواء، حيث تكون الريح من جهة واحدة، ولا يعبر عنها في

[6]) ينظر: التناسب السياقي للصور المتناظرة في تشبيهات القرآن الكريم: د. منير عبده علي أنعم، مجلة جامعة الناصر، السنة 5، العدد 9، يناير – يونيو 2017م، ص ص81– 104. ص83.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

القرآن إلا للتخريب والتدمير، أما الرياح فتكون من عدة جهات، وهذا التعدد لجهات هبوب الرياح يوجد التوازن لها، فتتعادل القوة فيها.

وجاء التناظر بين التشبيهين مع اختلاف الصفات فيهما في قوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ)، وقوله: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ). فكان التشبيه المرسل في الآيتين معبرًا عن كلا الحالتين، وجاء النسق ملائمًا للصورة في كل موضع، واشتركت صفة جذوع النخل في السياقين، فالآية الأولى وصفت حالهم بعد سقوطهم كأعجاز النخل باسم الفاعل (مُنقَعِرٍ)، فكانت الصورة مبينة لحالهم وكأنهم مكثوا طويلًا بعد السقوط حتى خلت أجسامهم من دواخلهم، فصاروا جثثًا فارغة، وفي ذلك تفظيع لحالهم وتخويف لمن يراهم. وفي الآية الثانية شبههم بجذوع النخل الطويلة التي تقطع الريح القوية رؤوسها المتطاولة، فزاد هذا التشبيه المعنى وضوحًا.

فجاءت الصورة المتناظرة في الآيتين مبينة دلالة مشتركة بينهما، وهي: خلو الأجساد من الأرواح بالسقوط والموت، والحالة التي صاروا إليها نتيجة كفرهم وعنادهم وتعاليهم، فكان التشبيه ملائمًا لكلا الحالتين في السياقين، ومناسبًا للوصف فيهما.

وجاء التناظر في التشبيه التمثيلي في (الْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ) كما في قوله سبحانه:

1. {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} البقرة256
2. {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} لقمان22

حيث جاءت الصورة التشبيهية المتناظرة في هاتين الآيتين مصورة هيئة المؤمن في ثباته على الإيمان وكأنه يمسك بعروة ثابتة واثقة مُنجية: (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)، فجاءت الحركة المتخيلة متحركة مجسمة محسوسة مثلت المعنى المراد بصورة أوضح، فكانت أرسخ للمعنى الخيالي المجرد.

وتحدثت الآية الأولى عن نفي الإكراه في الدين، وجاءت بمعنى النهي؛ أي لا تكرهوا أحدًا على الدين، فهذا الدين واضح بين. وفي الآية الثانية كان الحديث عن العودة والإنابة إلى الله في كل الأمور، وجاء على سبيل التكثير والاستمرار (يسلم)؛ وفي الآيتين المتناظرتين ارتباط من حيث التسليم والعودة والإنابة والرجوع إلى الله، بالإيمان به

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والتمسك بحبله المتين، وإنفاذ أمره؛ وخص الوجه في الآية الثانية بالذكر؛ لأنه أشرف الأعضاء وأكرمها، وتطلقه العرب إذا أرادت الإذعان والانقياد التام.

وتمثلت أهمية الصورة الفنية في الطريقة التي فرضت بها علينا نوعًا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به. فهي لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه.[7]

ومما ورد في القرآن الكريم متناظرًا ما جاء في وصف يوم البعث لمن كفر، قال سبحانه:

1. {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} يونس45
2. {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} الأحقاف35

جاءت الآية الأولى في سياق الحديث عن تكذيب الذين من قبلهم لرسلهم، وعن ظلم الإنسان نفسه. أما الآية الثانية فوردت في سياق الحديث عن الذين كفروا وإصرارهم على كفرهم وسوء عاقبتهم، تلاها أمر من الله لنبيه بالصبر (كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)، ونهاه عن استعجاله العذاب لهم؛ لأنه قريب جدًا، حتى كأنهم حال رؤيتهم لما وعدهم يشعرون بقصر مكوثهم في الدنيا، وكأنها ساعة واحدة من نهار يوم واحد، وفي ذلك عظة وبلاغ وبيان، ولا عقاب إلا لمن خرج عن أوامر الله وأعرض عن طاعته.

وجاء التشبيه التمثيلي المتناظر مبينًا قصر الحياة الدنيا، وسرعة زوالها، وغفلة أهلها إلا من رحم، وجاء التشبيه في قوله: (كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ) مبينًا حال المشبه ومصورًا خسرانهم في الآخرة وتحسرهم على ما ضيعوا في الدنيا، فهم إذا حشروا استقلوا مدة مكثهم في الدنيا، حتى كأنها ساعة من نهار يوم واحد عندهم، وهذا نتيجة عدم

[7]) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط3، 1992م. ص327.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

استعدادهم لهذا اليوم، وإعراضهم عن الحق. وهذا كما في قوله تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ 113} المؤمنون.

وقد بين التشبيه كذلك الأحوال الظاهرة من الزي والهيئة والاعتقاد، وهو ما دل عليه قوله: (يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ)، فكانت المدة قصيرة من النهار كما في زمن التعارف البسيط العابر؛ "ووجه الشبه بين حال زمن لبثهم في القبور وبين لبثِ ساعة من النهار وجوهٌ: هي التحقق والحصول، بحيث لم يمنعهم طول الزمن من الحشر، وأنهم حشروا بصفاتهم التي عاشوا عليها في الدنيا فكأنهم لم يفنوا. وهذا اعتبار بعظيم قدرة الله على إرجاعهم. والمقصود من التشبيه التعريض بإبطال دعوى المشركين إحالتهم البعث بشبهة أن طول اللبث وتغير الأجساد ينافي إحياءها {يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ(10) {أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً(11)} النازعات[8]". بينما قوله: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ) جاء لتعليل النهي عن الاستعجال بالعذاب لهم، فهو واقع بهم وإن طال موعده، فحال وقوعه يشبه حال مكثهم وقتًا قليلًا كساعة من نهار.

وفي الآيات تصبير الله لنبيه، وتبيين مصير المكذبين والمعرضين، مع التمثيل لذلك؛ لتقريب الصورة وتبيين سوء العاقبة وشقاء المعاقبين، فطول مكثهم في العذاب بين لهم قصر الحياة الدنيا وحقارتها.

ومما تناظرت فيه الصور، قوله تعالى:

1. {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} البقرة73
2. {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف57

جاءت آية البقرة في سياق الحديث عن قتيل بني إسرائيل، وختمت بالتشبيه على قدرة الله إحياء الله الموتى، فكما أحيا هذا بعد موته هو قادر على إحيائكم جميعًا: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان28.

[8]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج11، ص182.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فيما وردت آية الأعراف في سياق الاستدلال بنعم الله، وبيان قدرته بإحياء البلد الميت بأن ساق له من الغيث ما أحياه وأخرج منه من الثمرات بعد عدمها فهو القادر على بعثكم من قبوركم أحياءً بعد الموت، وهي جملة معترضة وردت للعبرة والموعظة والتأكيد على قرب البعث لمن يستبعده.

وتناظرت الآيتان في قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى)، و(كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى)، حيث مثلتا إخراج الموتى من قبورهم بعد إحيائهم، أي: يحييهم الله مثل ذلك الإحياء يوم القيامة. في آية البقرة كان تمثيل إحياء الله الموتى بإحياء قتيل بني إسرائيل، وآية الأعراف كان التمثيل لإخراج الموتى من قبورهم بإخراج الزرع من الأرض الميتة بعد سقياها.

وارتبطت الآيتان بذكر الإحياء بعد الموت، وفيها دلالة على قدرة الله على إخراج الموتى وبعثهم، ووجوب أخذ العبرة من ذلك، والاستدلال على قرب البعث.

وفي بيان عدم القيمة لأعمال الذين كفروا ما تناظر في قوله تعالى:

1. {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} النور39
2. {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً} النبأ20

لما ذكر سبحانه حال المؤمنين وما سيجدونه من فوز وفلاح، ضرب مثلًا للكافرين وحالهم مع أعمالهم؛ حيث شبه ما عمله الكافر من أعمال الخير والبر والتي ظن أن النفع بها محقق، وما سيجده من خيبة وخسارة، ومثل لذلك بمن ذهب إلى سراب ليروي عطشه حتى إذا وصل إليه لم يجده شيئًا: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً} الفرقان23.

وفي الآية الثانية بين سبحانه حال الجبال والتي تصبح مثل السراب كما في حال من تراءى له الماء وما هو إلا سراب، والسراب هنا لا شيء، سواءً لأعمال الكافر أو للجبال يوم القيامة.

والرابط بين التشبيهين بيان الانتهاء وعدم الانتفاع بعد أن كانت الرؤية له كبيرة وعظيمة، فلا منفعة من عمل الكافر، ولا وجود لأعماله مهما عظمت، ولا أثر لما خيل له أنه ماء، ولتلك الجبال المتسمة بالعلو والعظمة، فبقاء الموجود أصبح عدمًا.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing
30/07/2024
المجلد الثاني

وفي الجزاء قال سبحانه:

1. {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} يوسف22
2. {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} القصص14

ففي قوله: (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) تشبيه، أي: مثل ذلك نجزي المحسنين. وجاءت (ال) في المحسنين "للعهد، والإظهار في موضع الإضمار؛ للثناء عليهم بالإحسان.. والجملة اعتراض مقرر لما قبلها"([9]).

والحُكم: اسم للحكمة، ودلّت هنا على النبوة. وفي ذكر العلم بعد الحكم: (حُكْماً وَعِلْماً) بيان بأنه أوتي العقل والفهم والعلم قبل النبوة، فلا يصدر منه ما لا يليق به، وفي تنكير (عِلْماً) تعظيم له ولشأنه.

وجاء في سورة يوسف: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) والحديث فيها عن نبي الله يوسف، وفي القصص: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) والحديث فيها عن نبي الله موسى؛ وذلك بزيادة (وَاسْتَوَى).

وبلوغ الأشد اكتمال قوة الجسم والاستواء اكتمال النضج. قيل في الأشدّ: "ثماني عشرة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون. وقيل: أقصاه اثنتان وستون، (حُكْمًا): حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه. وقيل: حكما بين الناس وفقها. (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه. (وَاسْتَوَى) واعتدل وتمّ استحكامه، وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه، حيث صار إلى الحد الذي لا يزاد الإنسان بعده غريزة من الغرائز لم تكن فيه أيام الشباب، بل لا يبقى بعد ذلك إلا الوقوف ثم النقصان"([10]) وذلك أربعون سنة.

---

[9]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت، ج7، ص213.

[10]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص429.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فقال تعالى في يوسف: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ) ولذا لم يقل هنا (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ) كما قال في قصة موسى؛ لأن موسى أوحي إليه عند منتهى الأشد والاستواء وهو أربعون سنة، وأوحي إلى يوسف عند أوله وهو ثمان عشرة سنة.

وفي قوله تعالى: (عِلْماً) المراد من الحكم الحكمة العملية ومن العلم الحكمة النظرية؛ وذلك لأن أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولاً إلى الحكمة العملية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية، وأما أصحاب الأفكار والأنظار العقلية فإنهم يصلون أولاً إلى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية، وطريقة يوسف عليه السلام هي الأولى؛ لأنه صبر على المكاره والبلاء والمحن ففتح الله له أبواب المكاشفات، ففي قوله: (حكماً وعلماً) إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية[11].

وفي وصف الجبال يوم القيامة، قوله جل شانه:

1. {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} المعارج9
2. {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ} القارعة5

جاء التشبيه المرسل المجمل في الآيتين المتناظرتين مبينًا حال المشبه يوم القيامة: (الْجِبَالُ)، فالجبال الصلبة الشامخة أصبحت لينة هشة ضعيفة، كالصوف المنفوش المختلط الألوان الذي بدأ بالتمزق؛ فالجبال مختلفة الألوان بحجارتها ونباتها. ووجه الشبه فيها تفرق أجزائها وتبعثرها: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} النمل88. فترى الجبال وقت النفخة واقفة مكانها وهي تسير حتى تقع على الأرض فتنتشر ثم تصير كالعهن.

[11]) ينظر: مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1421هـ-2000م، ج18، ص90. وينظر: تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت. ج4، ص230.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وجاء إيثار العهن بالذكر؛ "لإكمال المشابهة؛ لأن الجبال ذات ألوان، قال تعالى: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} فاطر27. وإنما تكون السماء والجبال بهاته الحالة حين ينحلّ تماسك أجزائهما عند انقراض هذا العالم والمصيرِ إلى عالم الآخرة[12]".

وجاء التشبيه المتناظر في قوله تعالى:

1. {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} البقرة146
2. {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} الأنعام20

جاء التشبيه المتناظر في قوله: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ)؛ أي يعرفون صفات النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وفي ذلك تأكيد بمعرفة أهل الكتاب له معرفة حقيقية خالصة مفصلة من خلال كتبهم، وهي كمعرفتهم أبنائهم وهذه المعرفة لا تقبل اللبس أو الاشتباه والخلط، فلا يمكن أن يلتبس على المرء ابنه أو يختلط عليه من بين أبناء غيره، فكان أن خصهم بالذكر لذلك.

قال ابن عطية: "لم شبّه معرفتهم له بمعرفتهم أبناءهم ولم يشبهها بمعرفتهم أنفسهم؟ وأجاب بأن الإنسان يتقدم له زمن لا يعرف فيه حال نفسه وهو زمن الصغر بخلاف ولده فإنه يشاهده من صغره إلى كبره[13]".

وحيث جاء في قوله: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ)، وهو: "تشبيه المعرفة بالمعرفة؛ فوجه الشبه هو: التحقّق والجزم بأنّه هو الكتاب الموعود به، وإنّما جعلت المعرفة المشبّه بها هي معرفة أبنائهم؛ لأن المرء لا يضلّ عن معرفة شخص ابنه وذاته إذا لقيه وأنّه هو ابنه المعروف، وذلك لكثرة ملازمة الأبناء آباءهم عرفاً[14]".

---

[12]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج29، ص159.

[13]) تفسير ابن عرفة المالكى: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط1، 1986م، ج2، ص460.

[14]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج7، ص171.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المبحث الثاني: الاستعارة

تُعد الاستعارة النوع الثاني من أنواع المجاز اللغوي، وهي من أدق الأساليب البيانية تعبيرًا، وأجملها تصويرًا، وأكملها تأدية للمعنى، وهي منبثقة عن التشبيه، ولكنها تشبيه مضمر في النفس، فيحذف أحد طرفيه، ويكون أحد الطرفين عين الآخر.

والاستعارة في اللغة: مأخوذة من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه. وقد علل ابن الأثير تسمية الاستعارة بهذا الاسم بقوله: "وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة؛ لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية، التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه. وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[15]. وبهذا فلا يستعار أحد اللفظين للآخر – الحقيقي للاستعارة ومعناه المجازي– إلا إذا كان هناك صلة معنوية تجمع بينهما. فيسمى الشيء باسم غيره حال قيامه مقامه.

وللصورة الاستعارية في القرآن الكريم تجليات جمالية تنفرد بها؛ ذلك أن مكمن السحر في هذا الكتاب الكريم هو نسقه التعبيري، كونه معجزًا بلاغيًّا بالدرجة الأولى. وهو ما التفت إليه شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، وعدها عمد الإعجاز وأحد أركانه، يقول: "ولم يتعاطَ أحدٌ من الناس القولَ في الإعجاز إلاّ ذكرَها، وجعلَها العُمُدَ والأركانَ

[15]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، د.ط، 1995م، ج1، ص347.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فيما يوجب الفضلَ والمزية، وخصوصاً الاستعارة والإيجاز، فإنكَ تراهم يجعلونَهما عنوانَ ما يذكرون وأولَ ما يُوردون.."[16].

ومن تعريفات الاستعارة عند القدماء ما ذكره الجرجاني (471هـ) بأنها: "لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"[17]. ونجد أن علماء البلاغة المعاصرين قد اتفقوا معهم في تعريفها، وإن اختلفت عباراتهم، فهي تكاد تكون متحدة في المضمون والذي "يقتضي التحول من منطقة الحقائق إلى منطقة المجاز عمومًا، ثم التحول من المجاز إلى الاستعارة على الخصوص"[18].

وتعد الاستعارة من المجاز اللغوي عند أكثر البلاغيين، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، وعلاقتها المشابهة دائمًا، ويتم فيها نقل اللفظ من معناه الذي وضع له إلى معنى آخر لم يعرف به. ومن الاستعارات المتناظرة في القرآن الكريم ما جاء في استعارة:

- **الصراط:**

1. {اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} الفاتحة6
2. {وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الصافات118

---

[16]) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (471هـ)، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، د. ط، 1984م، ص521.

[17]) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة– مصر، ط1، 1991م.ص30.

[18]) البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية– لونجمان، الجيزة– مصر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ط1، 1997م، ص165.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

جاءت الآية الأولى بعد التوسل إلى الله سبحانه بالحمد والثناء والتمجيد، وتخصيصه بالعبادة دون سواه، والاستعانة به وحده. ثم بدعائه أن يديم عليهم الهداية والثبات والرشاد على طريق الهدى والدين الذي لا انحراف أو اعوجاج فيه.

والآية الثانية جاءت في سياق تعداد الله سبحانه وتعالى نعمه ومنه على (موسى وهارون) بالنبوة والرسالة والنجاة من كيد بني إسرائيل ومن استعباد فرعون وظلمه ونصره لهما وتأييدهما بالتوراة المبينة للأحكام والشرائع، وهدايته لهما بالإسلام، وإبقاء الذكر الحسن لهما، وهذا جزاء المؤمنين من عباده.

وجاءت الصورة الاستعارية المتناظرة في الاستعارة التصريحية بالتصريح بلفظ المشبه به (الصِّرَاطَ) وحذف المشبه وهو دين الإسلام؛ وأريد بالصراط الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

وفي التعبير بـ(الصِّرَاطَ) "انفتاحًا دلاليًّا لكثير من المعاني التي يجسدها (الصراط الحسي) لمعاني الدين المعنوية؛ فالصراط الحسي يكتسب من المعاني كونه حقيقة صادقة لا ينكرها أحد، وهو طريق واضح المعالم، وحينما يعبر هذا اللفظ عن معاني الدين، فإن ذلك لا يعني قصر (الدين) على مجرد الدخول فيه فحسب، بل إن دلالة (الصراط المستقيم) تصور الدين بكل مقتضياته، إذ إن المراد منه حقائق الدين، ومنهج القرآن وتجاوبه مع الفطرة السليمة واستقامته في نفوس أهل الحق واليقين، كأنه طريق واضح ليصف منهجًا بينًا ويحدد المعالم تحديدًا مضيئًا[19]". وفي وصف (الصراط) بـ(المستقيم) دلالة على أن هذا الدين لا عوج فيه، فلا يمكن وصفه إلا بالاستقامة والاعتدال، وهو طريق واحد محدد المسلك واضح المعالم، لا غموض يحتويه ولا تيه يعتريه.

[19]) الأسلوب وفاعلية السياق (دراسة في تجليات الصورة الاستعارية في القرآن الكريم): د. منير عبده علي أنعم، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2014م، ص32.

وينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط3، 1413هـ- 1993م، ص213.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وارتبطت الآيتان ببيان أن الهداية من الله تعالى، وأن الدلالات التي جاء بها لفظ (الصراط المستقيم) كثيفة واسعة جعلت من الدين القيم مرادفًا له، وفي التعبير بلفظ الهداية دلالة جامعة لكل المعاني التي تربط الصراط المستقيم بدين الإسلام: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام161.

- **خطوات الشيطان:**

1. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(169)} البقرة
2. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ(208) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(209)} البقرة
3. {وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} الأنعام142
4. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} النور 21

ابتدأت الآيات بالنداء عدا آية الأنعام حيث وردت في سياق تعداد نعم الله، ووجهت الآية الأولى النداء للناس جميعًا، بينما خصص النداء في الآيتين (آية البقرة– النور) للذين آمنوا. وتلا النداء في الآية الأولى الأمر بأكل الحلال الطيب، وفي الثانية الأمر بالدخول في السلم كافة؛ وهو الإسلام وشرائعه كلها وهو: "مستعار للاتباع والالتزام وشدة التلبس بالفعل[20]". وفي الآية الثالثة النهي عن اتباع خطوات الشيطان.

وجاءت الاستعارات التصريحية في قوله تعالى: (لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)؛ مبنية على تشبيه المحسوس بالمعقول، وبينت الاستعارة الغواية والضلال وحال أهل الشرك، فشبه حال فاعلها متلبساً بوسوسة الشيطان ومتتبعًا لآثاره، سائرًا على خطاه، والمراد الاقتداء به واتباعه.

وفي النهي تحذير غرضه التنبيه من اتباع ما يصدهم عن اتباع الحق والهدى، وقد فصل سبحانه ما يترتب على اتباع خطواته من الضرر، في آية البقرة: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء)، والنور: (فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ).

[20]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج2، ص275.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وقد نهت الآيات عن اتباع الشيطان بما يوسوسه للنفس البشرية ما يؤدي بها إلى المهالك من انحراف وظلال وتيه وبعد عن الحق، ووجوب ردع المسلم نفسه وكبح جماحها وصدها من أن تُغلب، وقد تتعدد الخطوات والطرق، إلا أن النهايات واحدة. وفي الاعتصام بحبل الله نجاة منه.

- **عناد الكفرة وصدهم:**

1. {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} البقرة18
2. {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} البقرة171

تناظرت الاستعارتان التمثيليتان في قوله: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)؛ حيث وردت في موضعين في القرآن الكريم، في سورة البقرة، بينت صفات الكافرين حال كفرهم وعنادهم وصدهم عن سبيل الله، فكان وصفهم بهذه الصفات بيان لانعدام الفهم والإفهام منهم وتعذره، واستحالة عودتهم إلى رشدهم، فحالهم ميؤوس منها.

وهذه الصفات مجاز؛ بينت عدم انتفاعهم بحواسهم، وانغلاق أبواب الهدى عنهم، وليس فقدهم حواسهم. "واستعير العَمى الثاني لانتفاء إدراك المبصرات بالعقل مع سلامة حاسّة البصر لشبهه به في الحالة الحاصلة لصاحبه[21]".

وجاءت الاستعارتان بعد ضرب المثل لحال المنافقين، ففي الآية الأولى صور حالهم بعد أن أسلموا ورأوا نور الإيمان إذا بالشك يخالج نفوسهم فكفروا؛ فكانوا كمن أوقدوا نارًا لينتفعوا بها فانطفأت فأصبحوا في ظلام دامس لا يرون شيئًا، فهم في ظلمات الجهل يتخبطون فيه ولا يبصرون مسالك النجاة والهداية.

"ولما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان؛ ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكلام الأنبياء والحكماء، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} العنكبوت43... وما

[21]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج17، 289.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً)؛ حتى شبه أحد المثلين بصاحبه فقد استعير المثل استعارة الأسد المقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا"[22]. وجاء المثل في الآية الثانية مشبهًا أصواتهم بأصوات البهائم التي تسمع الصوت ولا تعي أو تعقل المراد.

- **في وصف الكافرين قلوبهم:**

1. {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ} البقرة88
2. {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} النساء155

وصف الكفار أنفسهم بما يدلل على أن الكفر مطبوع في نفوسهم، فقلوبهم قد عميت عن الحق، لكثرة ذنوبهم وآثامهم؛ كما قال سبحانه: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} المطففين14. وقوله: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} الحج46.

والغلف: جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف، ويحمل دلالة الغطاء والحاجز؛ الذي ينشأ عنه عدم الفهم.

وجاءت آية البقرة في سياق الحديث عن بني إسرائيل ورفضهم ما جاء به رسل الله، لعدم موافقته أهواءهم، فتعالوا واستكبروا وكذبوا وقتلوا، {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)} البقرة. وقالوا عن قلوبهم بأنها غلف مغطاة لا ينفذ إليها الحق، وبين سبحانه أن عملهم هذا نتيجة الطبع على قلوبهم فوقعت عليهم اللعنة لكفرهم وجحودهم وإعراضهم، أما عن إيمانهم القليل فلا ينفعهم.

---

[22]) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ج1، ص109.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أما آية النساء فوردت في سياق الحديث عن تعنت اليهود وبيان قبحهم وخبثهم ونقضهم مواثيقهم: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً} النساء154.

وجاءت الصورة الاستعارية المكنية في هاتين الآيتين المتناظرتين بالجملة الاسمية والتي تؤكد ثبات حالهم ودوامه، فالصفة التي وصفوا قلوبهم بها صورت حالهم بدقة؛ فقلوبهم منغلقة، رافضة ومعرضة للحق. فكان أن جسدت الاستعارة حالهم، ورسمت ضلالهم، وقربت صورة الانغلاق التام لقلوبهم وعدم استجابتها.

وبينت الآيات حالهم وأن كفرهم كفر طبع، فلا فائدة ترتجى منهم، ولا هداية تؤمل لهم. وتكررت نظائر هذه الآية بقولهم: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ)، وغيرها كما سيأتي.

- **أكنة ووقرًا:**

1. {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} الأنعام25
2. {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً} الإسراء46
3. {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً} الكهف57
4. {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} فصلت5

جاءت آية الأنعام والإسراء واصفة حالهم ومبينة بُعد قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله، وانغلاقها بسبب أهوائهم، فران عليها بما كسبت أيديهم. كذلك في آية الكهف؛ إلا أنها سبقت بمؤكد (إنَّا) حيث أكدت عدم اهتدائهم وأنهم مهما سمعوا من الهدى (فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً)؛ فكان جزاء من أعرض عن الله أن جعل على قلوبهم وأسماعهم حجابًا فلا يصل إليها نور الحق، ولا يجد حلاوة الإيمان، ولا يفهم حقائق الدين.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350 ISSN: 2958-8537 Issue: N24
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أما في آية فصلت فقد كان حديث الكفار للنبي –صلى الله عليه وسلم– عن حالهم، ووصفهم أنفسهم بالضلال، وأنهم لا يؤمنون به ولا يتبعونه ولا يقبلون الحق ولا يسمعونه. وقالوا: (وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ)؛ "غليظ، وستر مانع يمنعنا من التواصل إليك. و(من) للدلالة على أن الحجاب مبتدى منهم ومنه بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة، ولم يبق ثمَّ فراغ أصلاً. وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله، ومج أسماعهم له، كأنَّ بها صمماً وثِقلاً منعهم من موافقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم[23]".

و(أَكِنَّةً): "أغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة مما يتعارفه الناس. جمع كنان بالكسر وهو ما يستر به الشيء {أَن يَفْقَهُوهُ} مفعول له بحذف المضاف أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعون من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع جعلنا {وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا} أي: صمماً وثقلاً كراهة أن يستمعوه حق الاستماع، وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي عليه السلام، وفرط نبوّ قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومجّ أسماعهم له، وهذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به"[24].

وجاءت الاستعارة المكنية مشبهة قلوبهم في عدم وصول الحق إليها بالغطاء العازل المانع عن خلوصه إليها. وفي ذلك تجسيد للمعنوي بالمادي المحسوس. فقولهم: (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) بين في ظاهره عدم الاستطاعة لقبول الحق، إلا أنه يستعمل في نفي الرغبة والإعراض وهو ما أضمروه في نفوسهم.

وترابطت الآيات بالإشارة إلى أن مكافأة من يقابل كلام الله تعالى أو حديث نبيه أو كلمات أرباب الحقائق بالإنكار ليأخذوا عليها ويطعنوا فيها، أن يجعل الله تعالى حجاباً على قلوبهم وسمعهم حتى لا يصل إليهم أنوارها ولا يجدون حلاوتها ولا يفهمون حقائقها.

- **مدَّ النظر:**

1. {لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} الحجر88

[23]) البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 2002م، ج6، ص496.

[24]) تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ج3، ص17.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

2. {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} طه131

جاءت هذه الآيات بعد الحديث عن إملاء الله للكافرين والمكذبين، وكيف أعطاهم من النعم والترف، ثم باءوا بسوء العاقبة بعد الغضب والوعيد. فجاءت هذه الآيات زاجرة اللهفة إلى متاع الدنيا، وأريد بالأزواج هنا أصنافًا من الكفار.

وفي آية الحجر عرف سبحانه نبيه نعمه العظيمة عليه بالقرآن العظيم والدين القويم ونهاه عن الرغبة في الدنيا والالتفات لها أو الانشغال بها، وألا يحزن على هؤلاء الكفار لانشغالهم بالدنيا عن الدين، وأن يتواضع ويتقرب من المؤمنين ويرفق بهم.

وفي آية طه كذلك جاءت بعد بيان عاقبة من أعرض عن ذكره ونسي آيات الله أنه يُنسى، والجزاء من جنس العمل، تلا ذلك الأمر لنبيه بالصبر والتسبيح حتى ينال ما ترضى به نفسه في الدنيا من النجاح والظفر بانتشار الدعوة، وفي الآخرة من الأجر والثواب الحسن. وجاءت الآية مناظرة لسابقتها في جزئها الأول، وذكر في آية طه (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)؛ أي: لنبتليهم ونختبرهم بها في الدنيا ونعذبهم عليها في الآخرة. وما آتى الله نبيه هو الخير والأبقى له.

وفي قوله: (لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ)، استعارة عنت الإطالة بالنظر مع التحديق رغبة وإعجابًا، والمد في أصله يعني الزيادة، وأطلق هنا لما زاد به من الرغبة بإطالة النظر إعجابًا بحال الكفار وما هم فيه من رفاهية في العيش ومتعة، فبين سبحانه أن ذلك ما هو إلا فتنة عاجلة أضاعت مصيرهم الآجل.

"واستعير المدّ هنا إلى التّحديق بالنظر والطموح به تشبيهاً له بمدّ اليد للمتناول؛ لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم، أي فإن ما أوتيته أعظم من ذلك فلو كانوا بمحل العناية لاتّبعوا ما آتيناك ولكنّهم رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم. والأزواج هنا يحتمل أن يكون على معناه المشهور، أي الكفّار ونسائهم. ووجه تخصيصهم بالذكر أن حالتهم أتم أحوال التمتّع لاستكمالها جميع اللّذات والأنس. ويحتمل أن يراد به المجاز عن الأصناف وهو استعمال أثبته الراغب. فوجه ذكره في الآية أن التمتّع الّذي تمتدّ إلى مثله العين ليس ثابتاً لجميع الكفّار بل هو شأن كبرائهم، أي فإن فيهم من هم في حال خصاصة فاعتبر بهم كيف جمع لهم الكفر وشظف العيش.[25]".

[25]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج14، ص81- 82.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتوافقت الآيات المتناظرة في النهي عن الرغبة في الدنيا، وتمني ما فضل به أحد من متاعها، وفي إدامة النظر استحسان وتمني، وهو ما وضحته الاستعارة، فالعين تدل على ما يكنه القلب ويرغب فيه، وهنا كشفت حديث النفس وهواها. وللنفوس أهواء جامحة، لا تسقيم إلا بمجاهدتها وغلبتها بالالتفات إلى نعم الله، والانغماس بطاعة الله، وبذلك تُردع وتستقيم.

المبحث الثالث: الكناية

تُعد الكناية علم من علوم البلاغة، وأسلوب من أساليب البيان، وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى. وهي مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها تعطي الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها. ومن أسباب بلاغتها أنها تضع المعاني في صور المحسَّات، وهذه خاصية الفنون.

ولعل أسلوب الكناية هو أقرب الأساليب إلى الحياة الاجتماعية؛ حيث حفلت أساليبها بسلوك المجتمع العربي وعاداته لدرجة أنها تكاد تستوعبها، فإن كان ثمة ارتباط بين الآثار الأدبية والأنظمة الاجتماعية؛ فإن الكناية هي أكثر ما يعطينا هذا المثال بصورة وافية، وفي أغراض مختلفة عرفها المجتمع العربي، فقد وجدنا في الكناية ما يخص الرجل من صفات تمثل الرجل العربي في صورته المثالية التي كان يريدها المجتمع: كالكرم، والشجاعة، وعلو الهمة، الذكاء، والعفة، وغيرها. وجاء فيها ما هو مذموم: كالجبن، والحقارة، وقلة الشأن. ونالت المرأة من الكناية حظًّا لم تجده في غيرها، حيث وصفت أخلاقها، وأحوالها، ومفاتنها. كذلك وصفت الناقة والفرس وغيرها. كل ذلك استوعبته الكناية في أساليب تفنن فيها الشعراء واختلفوا في تصويرها، وأبدعوا في عرضها.[26]

وإذا تتبعنا تعريف الكناية عند علماء اللغة والبلاغة نجد أن الجرجاني كان الأقرب في بيان معناها، يقول فيها: "المُراد بالكناية أن يريدَ المتكلمُ إثباتَ معنىً من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكن يجيءُ إلى معنىً هو تاليهِ وردِفُه في الوجودِ، فيومىءُ به إليهِ ويجعلهُ دليلاً عليه، مثال ذلك قولُهم: (هو طَويلُ النِّجاد)؛ يريدون طويلَ القامة، (وكثيرُ رمادِ القِدر)؛ يَعْنُونَ كثيرَ القِرى. وفي المرأة: (نَؤومُ الضُّحى)؛ والمرادُ أنها مُترفةٌ مخدومَةٌ لها مَن يَكفيها

[26]) ينظر: الكناية (أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي): محمد الحسن علي الأمين أحمد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية، 1984م. ص126.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أمرَها. فقد أرادوا في هذا كُله معنىً، ثم لم يذكرُوه بلفظِه الخاصّ به، ولكنّهُم توصَّلوا إليه بذكرِ معنًى آخر من شأنهِ أن يردُفَه في الوجود وأن يكونَ إذا كانَ. أفلا ترى أنَّ القامةَ إذا طالتْ طالَ النجادُ، وإذا كثُر القِرى كَثُرَ رمادُ القِدر، وإذا كانتِ المرأةُ مترفةً لها مَن يكفيها أمرَها ردِفَ ذلك أن تنامَ إلى الضُّحى"[27].

وجاءت الكنايات المتناظرة في القرآن الكريم بليغة في الوصف، دقيقة في المعنى، مقاربة للدلالة، فأبرزت المعنى مصحوبًا بدليل حسي، وبتعبير غير مباشر، وفي أقوى صورة. حيث تعمقت في رسم الصور الموحية بالمعنى المراد، بأفضل طريقة، وأجمل أسلوب، وأدق تعبير، وأقرب دلالة، وأضفت على المعنى حسنًا وبهاءً، وبينت الحقيقة مصحوبة بدليلها.

ومما جاءت فيه الكنايات متناظرة قوله تعالى:

1. {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} البقرة143
2. {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} آل عمران144

ففي قوله سبحانه: (مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)، كناية عن الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام؛ أي: الردة.

وجاءت الآية الأولى في سياق الحديث عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام: {سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} البقرة142، وأراد بالسفهاء اليهود والمشركين. كذلك بين سبحانه أن الغرض من تحويل القبلة تمحيص المؤمنين، وكشف المؤمنين منهم، وفضح منافقيهم. وكنى بالانقلاب على عقبيه بالردة عن دين الإسلام؛ وما ذلك إلا لضعف إيمانهم وقلة يقينهم بدينهم.

---

[27]) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (471هـ)، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، د. ط، 1984م، ص66.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أما آية آل عمران فوردت كذلك في سياق تمحيص المؤمنين ومحق الكافرين، يقول سبحانه: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{139} إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ{140} وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ{141} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ{142}. وهو ما بينته الكناية في قوله: (وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ).

وقد تحدثت هذه الآية عن الاضطراب الذي حصل في صفوف المسلمين يوم أحد حين أشيع موت النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث قال المنافقون: "لو كان نبيّاً ما قتل، فارجعوا إلى دينكم القديم وإخوانكم من أهل مكّة ونكلّم عبد الله بن أبَي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، فهمّوا بترك القتال والانضمام للمشركين، وثبت فريق من المسلمين، منهم: أنس بن النضر الأنصاري، فقال: إن كان قُتل محمد فإنّ ربّ محمد حيّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده، فقاتلوا على ما قاتل عليه[28]".

ومنها قوله تعالى:

1. {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} آل عمران119
2. {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} الفرقان27

جاءت الكناية المتناظرة للعض في الآيات موحية لشدة الندم والتحسر والغيظ، سواءً من المنافقين أو ممن ظلم نفسه كما سيرد. ففي آية آل عمران جاءت الكناية بقوله: (وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ)، فذكر العض على أطراف الأصابع كناية عن شدة الغيض والتحسر؛ وخص الأنامل بالذكر لأن العض عليها ينتج عنه ألم أشد من العض على اليدين، وفي ذلك دلالة على سوء حال المنافقين، وبيان بأن غيضهم وحنقهم على المسلمين قد بلغ ذروته، فهم لا يستحقون محبة المؤمنين لهم وإن كانت صلة.

[28]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج4، ص110.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وقد وردت الآية السابقة لها في سياق الحديث عنهم والتنفير منهم وبيان أن بغضهم قد ظهر في سقطات لسانهم، وأن ما يكتمونه في صدورهم أكثر وأكبر، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} آل عمران118.

ذُكر في البحر المديد أن هذه الآية نزلت "في رجال من المسلمين، كانوا يصلون رجالاً من اليهود؛ لما كان بينهم من القرابة والصداقة، أو في المنافقين؛ كان يصلهم بعض المسلمين. فكان أن وصفهم بأوصاف توجب التنفير منهم فقال: {ودوا ما عنتم} أي: تمنوا عنتكم وهلاككم وضلالكم، {قد بدت البغضاء من أفواههم} أي: ظهرت أمارة العداوة من أفواههم بالوقيعة في المسلمين، أو بإطلاع المشركين على عوراتهم، أو في كلامهم مع المسلمين بالغيظ، لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم، {وما تخفي صدورهم} من العداوة والبغضاء، {أكبر} مما أظهروه؛ لأن ظهوره منهم ليس عن روية واختيار، بل من غلبة غيظ واضطرار. {قد بيّنا لكم} أيها المؤمنون {الآيات} الدالة على مجانبة الكافرين ومولاة المؤمنين، {إن كنتم تعلقون} ما يُبين لكم[29]".

أما قوله تعالى في آية الفرقان: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)، فبين حال الظالم يوم القيامة، فهو في موقف حسرة وندامة على ما فرط في حياته الدنيا، فلم يعد لديه أمل بالعودة لاستدراك ما فاته، فحاله لا يمكن تداركه، فكان أن عذب نفسه باللوم والندم قبل أن يأتيه العذاب؛ لأنه في حالة يأس من النجاة.

ونزلت هذه الآية في عقبة بن أبي معيط الذي انصاع لخليله أبي بن خلف في عداوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وإيذائه بعد أن كان يجلس في مجالس النبي ويستمع الذكر: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً{27} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً{28} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً{29} الفرقان.

ومنها قوله تعالى:

---

[29]) البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 2002م، ج1، ص363.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

1. {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} الأعراف134
2. {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ} الأعراف135

جاءت الكنايات في الأعراف لـ(الرِّجْز) بكسر الراء عن العذاب، حيث أرسل الله عليهم الطاعون، فطلبوا من موسى –عليه السلام– الدعاء لهم، وأقسموا أنه إن كشف عنهم العذاب ليؤمنن له، وينفذوا طلبه بإرسال بني إسرائيل، فلما كشف –سبحانه– عنهم العذاب نكثوا وعدهم وهي عادة في بني إسرائيل، فكان أن انتقم الله منهم فأغرقهم في اليم، يقول جل شأنه: {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ} الأعراف136.

أما ما جاء في المدثر في قوله: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} المدثر5؛ بضم الراء فهو كناية عن الأوثان والأصنام.

ومما تناظر في الكنايات قوله تعالى:

1. {لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} الحجر88
2. {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} الإسراء24
3. {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الشعراء215

وفي خفض الجناح كناية عن المبالغة في التواضع والرفق واللين، وفيه أيضًا صورة حسية مجسمة توحي بصورة الطائر يحنو على صغاره ويضمهم إليه تحت جناحه.

وجاءت الكناية في الآية الأولى بعد النهي لنبيه –صلى الله عليه وسلم– عن الالتفات إلى أغنياء الكفار، فجاء الأمر مباشرة بالتواضع لفقراء المسلمين الذين اتبعوه لأجل الباقية ولم تغرهم الفانية.

ومثل ذلك الأمر في الشعراء؛ إلا أنه زيد فيه قوله: (لِمَنِ اتَّبَعَكَ)، لأن سياق الآية جاء بعد قوله: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} الشعراء214، وكان البعض يتبع النبي للنسب والقرابة لا للدين، فمان التأكيد على ذلك أبلغ.

أما في آية الإسراء فكان الأمر فيه مبالغة في الطلب بالمزيد من التواضع والتذلل ولين الجانب؛ لأنه خاص بالوالدين، وجاءت هذه الآية بعد عدد من الأوامر والنواهي، وبعد أن قصر سبحانه العبادة له وقرنها بالأمر بالإحسان للوالدين: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) الإسراء23.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومما كنى به سبحانه وتناظر في مواضع عدة قوله:

1. {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} آل عمران111
2. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ} الأنفال15
3. {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً} الأحزاب15
4. {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً} الفتح22
5. {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} الحشر12

فكنى عن الفرار والانهزام ذلًا وجبنًا في المعركة بـ(تولية الأَدْبَار) في جميع المواضع المذكورة، ففي آل عمران بين سبحانه أن الأذى من أهل الكتاب لا يتجاوز أذية اللسان، بالتخويف والدس بين المسلمين وغيره، وهو ضرر يسير؛ لأنهم وإن قاتلوا المسلمين لصاروا منهزمين مخذولين، ولن يجدوا لهم نصيرًا فلن تقوم لهم قائمة لضعف قوتهم وجبنهم.

بينما جاءت آية الأنفال في سياق منة الله على المسلمين يوم بدر بتأييدهم ونصرهم من عنده على المشركين، فكان أن حذرهم من التولي يوم الزحف، وبين عظم ذلك الذنب وعده من كبائر الذنوب وذلك في الآية التالية في قوله: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} الأنفال16. وفي ذلك توجيه وتدريب للمسلمين على الشجاعة والإقدام والثبات عند اللقاء، وهي معروفة عند العرب وأيدها الإسلام وقواها.

أما آية الفتح فتحدثت عن كفار قريش في الحديبية، حين صدوا المسلمين عن البيت الحرام: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} الفتح24. حيث بينت الآية أنه لو وقع القتال ولم يتم الصلح لولو دبرهم منهزمين مخذولين لا ناصر ولا معين لهم.

وفي الحشر كان الحديث فيها عن المنافقين، يقول سبحانه في الآية السابقة لها: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} الحشر11، فكان أن بين سبحانه كذبهم وعجزهم عن نصرتهم: (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومن الكنايات المتناظرة ما جاء في قوله تعالى:

1. {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} المائدة75
2. {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} الفرقان7
3. {وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} الفرقان20

جاء (أكل الطعام) في الآيات السابقة كناية عن قضاء الحاجة؛ وأرادت الآيات التأكيد بأن هؤلاء الرسل ما هم إلا بشر مثلنا، وأن الله اصفاهم جميعًا لتبليغ رسالته، فمن كانت حاجته للطعام يتغذى به لا يكون إلهًا، ومن كان إلهًا فإنه قادر على دفع الجوع والعطش عن نفسه.

وجاءت الآية الأولى في سياق الرد على النصارى الذين اعتقدوا ألوهية المسيح عيسى ابن مريم، فبينت أنه رسول من عند الله، ولا يحمل صفة أخرى غير الرسالة، حيث جاء الرد بالقصر بـ (ما – إلا): (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ)، وهو "قصرُ موصوفٍ على صفة، وهو قصر إضافي، أي المسيح مقصور على صفة الرّسالة لا يتجاوزها إلى غيرها، وهي الألوهيّة، فالقصر قصر قلب لردّ اعتقاد النّصارى أنّه الله[30]".

وفي الآية الثالثة في قوله: (وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) تسلية للنبي –صلى الله عليه سلم– وجوابًا على قول المشركين في الآية الثانية: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ)؛ فهم توهموا أن الرسالة تقتضي أن يكون الرسول من غير جنس البشر؛ "فالمعنى نفي ماهية المَلَكية عنه؛ لأنّ لجنس الملك خصائص أخرى مغايرة لخصائص البشر[31]".

ومما تناظر فيه الكنايات قوله سبحانه:

1. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} المائدة11

---

[30]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج6، ص285.

[31]) تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 م، ج7، ص242.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

2. {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} الفتح20
3. {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} الفتح24

حيث جاء قوله: (فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ)، و(وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ)، (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ)؛ للكناية عن كف الأذى عن المسلمين بمنع القتال، وفي المواضع الثلاث كان الغرض تذكيرهم بنعم الله عليهم ومنته بأن ألقى الرعب في قلوب أعدائهم وكفاهم حربهم فكان النصر لهم دون عناء.

وجاءت آية المائدة مذكرة المؤمنين بنعمة عظيمة من نعمه سبحانه بأن نجاهم من كيد عدوهم وذلك في سياق تذكيرهم بعدد من النعم في الآيات السابقة، منها إكمال الدين، وهدايتهم إلى لإسلام: {وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} المائدة6، {وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} المائدة7

أما آيتي الفتح فجاءت الاولى في سياق منة الله على المسلمين بأن كفاهم أيدي يهود خيبر وحلفائهم وأعوانهم عن المدينة بعد خروج النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى الحديبة، وهو ما بينته الآية التي جاءت بعدها بقوله: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)، أي كف أيدي قريش عنكم وكفاكم قتالهم وهو من تمام المنة عليهم.

ومما كنى به القرآن الكريم وتناظر في أكثر من موضع قوله تعالى:

1. {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} الصافات48
2. {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ} ص52
3. {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} الرحمن56

جاء قوله: (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) في المواضع المتناظرة جميعها كناية عن الحياء والعفة والقناعة، وقد وصفت الآيات حور العين في الجنة؛ ففي الصافات وصفن بـ(عِينٌ)؛ وهي واسعة العينين، وفي ص كان الوصف بـ(أَتْرَابٌ)؛ وهو وصف لهن متساويات بالأعمار مع أزواجهن في الجنة، وهو اسم لمن كان عمره مساويًا لعمر من يضاف إليه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أما في آية الرحمن فكان الوصف فيه تفصيل أكثر ما سابقه، بقوله: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)؛ وفيه بيان بأن الجنة للإنس والجان على حد سواء، ولا يدخلها إلا من فاز بها بعمله الصالح.

ومن ذلك قوله سبحانه:

1. {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} آل عمران119
2. {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} الفرقان27

عض الأنامل عادة النادم والعاجز، وفيه كناية عن شدة الغيض والتحسر، وقد بينت آية آل عمران حال أهل الكتاب، فالمؤمنون يحبونهم وأهل الكتاب يبغضونهم، والأصل أن المحبة تجلب المحبة إلا في حال اختلاف النوايا والأغراض، وبين سبحانه أن غيظهم ممتلئ بالحنق على المسلمين والرغبة في الانتقام، ولن يفلحوا بذلك أو يصلوا إليه: (قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ).

وجاءت الكناية في الآية الثانية متحدثة عن حال الظالم يوم القيامة وهو عقبة بن أبي معيط؛ وفي عضه يده دلالة على شدة حزنه وحسرته على إطاعته خليله: "وكان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن بايعت محمداً، فكفر وارتد، فأنزل الله –عزَّ وجلَّ– (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ) يعني: عُقبة[32]".

وكناية العض على اليد تحمل دلالة اليأس من النجاة، وتبين موقف الحسرة والندم وضياع الفرصة، فكان أن عذب نفسه بهذه الطريقة قبل أن يصل للعذاب حيث يستحيل عليه تدارك خطأه.

ومما تناظرت فيه الكنايات قوله سبحانه:

1. {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}البقرة223

---

[32]) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1419هـ –1998م، ط1،ج14، ص521.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

2. {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} الشورى20

جاءت الكنايات في الآيات السابقة لكلمة: (حَرْث) دالة على مكانه والنتاج أو الثمرة، أي نتيجة العمل وثمرته ومكان حصوله، والحرث في اللغة: الكسب، ويطلق على زراعة البذور في الأرض، وكُني به لاجتماع حصول النتاج، ففي الآية الأولى: (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) يكون النتاج بحصول الولد، وفي الثانية: (حَرْثَ الْآخِرَةِ)، و(حَرْثَ الدُّنْيَا)، يكون النتاج بحصول الثواب في الآخرة لمن عمل لها، أو المتاع في الدنيا لمن أرادها بذلك فقد أضاعوا نصيبهم من الآخرة وخسروا أنفسهم.

ففي آية البقرة تحدثت الآية في قوله: (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) عن موضع الحرث؛ أي: مكان منبت الولد، وهو بمنزلة الأرض التي تحرث للزراعة، " قال الجوهري: الحرث الزرع والحارث الزارع، وعلى كل تقدير هو خبر عما قبله إما بحذف المضاف أي مواضع حرث، أو التجوز والتشبيه البليغ، أي: كمواضع ذلك، وتشبيههن بتلك المواضع متفرع على تشبيه النطف بالبذور من حيث إن كلا منهما مادة لما يحصل منه ولا يحسن بدونه فهو تشبيه يكنى به عن تشبيه آخر[33]".

ودل الحرث في الآية الثانية على العمل والكسب، فمن أراد الآخرة أعانه الله على الأعمال الصالحة وأنار قلبه وبصيرته وسخره لذلك، وفي ذلك تنبيه لأهمية الآخرة ومكانتها، وتحقير للدنيا ومتاعها. وهذه الآية نظير قوله سبحانه: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ{15} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ{16}. وقوله: {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً{18} وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً{19}

- **الخاتمة:**

[33]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص124.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تحمل الآيات المتناظرة في طياتها دلالات مشتركة متلائمة مع السياق في مواضعها المتعددة، فاتسمت بالترابط والتعاضد حتى خلقت صورة متكاملة ومتجانسة وموحية بالمراد منها، فكانت أبلغ في التعبير والدلالة. ومن خلال هذا البحث نتوصل إلى عدة نتائج أبرزها:

- تمثلت أهمية الصور المتناظرة في طريقة تصويرها للمعنى، والتي فرضت نوعًا من الانتباه لما تعرضه، وزادت من التفاعل مع ذلك المعنى لدى المتلقي، مما خلق نوعًا من الوعي اللامحدود للمفاهيم المصورة لديه.
- اتصفت التشبيهات القرآنية المتناظرة بالدقة والوضوح، فجاءت فيها الصور متخيلة في موضع، ومتحركة في آخر، ومجسمة أو مجسدة محسوسة، وجميعها قربت الفهم والصورة للمخاطبين، وأوحت بدلالات أعمق وأجمل مما لو لم تأت مصورة.
- وردت الاستعارات المتناظرة معبرة عن كثير من المعاني، والتي جُسدت في الأغلب منها، حيث صورت المعاني المعنوية بصور حسية متخيلة، فكان أن أبرزت المعنى من جميع جوانبه، وكثفت من الدلالات الموحية، وأكسبتها الكثير من الوضوح والتماسك في التعبير عن المراد.
- عبرت الكنايات المتناظرة في القرآن الكريم عن المراد بصورة ميزتها عن غيرها من الكنايات، فجاءت أبلغ وأجمل وأكثر عمقًا في رسم الصورة الموحية للمعاني؛ فكان جمال الأسلوب ودقة التعبير وقرب الدلالة أكثر ما ميز هذه الكنايات.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
ISSN: 2958-8537 Issue: N24 العدد الرابع و العشرون م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- **قائمة المصادر والمراجع**

- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة– مصر، ط1، 1991م.
- الأسلوب وفاعلية السياق (دراسة في تجليات الصورة الاستعارية في القرآن الكريم): د. منير عبده علي أنعم، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط1، 2014م.
- البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 2002م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية– لونجمان، الجيزة– مصر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، ط1، 1997م.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة– مصر، ط3، 1413هـ– 1993م.
- تفسير ابن عرفة المالكي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط1، 1986م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت.
- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م.
- تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت.
- التناسب السياقي للصور المتناظرة في تشبيهات القرآن الكريم: د. منير عبده علي أنعم، مجلة جامعة الناصر، السنة 5، العدد 9، يناير– يونيو 2017م، ص ص81– 104.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت 671هـ)، تحقيق: هشام سمير بخاري، دار عالم الكتب، الرياض– المملكة العربية السعودية، د.ط، 1423هـ– 2003م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (471هـ)، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، د. ط، 1984م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط3، 1992م.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/07/2024
المجلد الثاني
العدد الرابع و العشرون ISSN: 2958-8537 Issue: N24 م.2 : ص.ص 317-350
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1416 هـ – 1996 م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت.
- الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، د.ط، 1998م.
- الكناية (أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي): محمد الحسن علي الأمين أحمد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية، 1984م.
- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1419هـ –1998م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار صادر، بيروت– لبنان، ط1، د.ت.ج13، ص503.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، د.ط، 1995م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، ج3، 1413هـ . 1993م.
- مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1421هـ– 2000م.